ليسوا «مشايخ» بل مجرمين

■ نشرت جريدة الشروق في صفحتها الأولى (عدد ٩٨٧ فى ٢٠١١/١٠/٦م) خبراً يفيد فوز العالم الاسرائيلى دانيال شيختمان بجائزة نوبل للكيمياء لعام ٢٠١١م لاكتشافه أشباه البلورات، وفي اليوم التالى مباشرة (٢٠١١/١٠/٧) نشرت جريدة التحرير (صفحة ١٤) خبرا بعنوان: الدجال طلع روح ربة المنزل لطرد العفاريت، وفى ثنايا الخبر أكد زوج الضحية وعمها أن المجنى عليها مصابة بمس شيطانى وأنها أخذت تهذى بكلمات غير مفهومة في كثير من الأحيان وترددت على عدد من الدجالين لعلاجها لكن محاولات علاجها لم تفلح، فاستعان الزوج بأحد المعالجين (نشرت له صورة مع الخبر بلحية كبيرة جدا) ويوم الحادثة حضر إلى المنزل وقام بقراءة بعض آيات القرآن على المجنى عليها ثم انهال عليها ضربا بقبضة يده بعد سماعه صوتا جهوريا يتحدث بلسانها، وأخبرهم أنها لن تشعر بهذا الضرب لحضور الجان عليها، لكنها لفظت أنفاسها الأخيرة بين يديه من شدة الضرب. وقد أكد الجانى أنه لم يكن يقصد قتلها وأنه سبق وعالج عدة حالات بنفس الطريقة ولم تتعرض أى منها لأذى

بقلم

«د. محمد الهدى
استشارى الطب النفسى
رئيس قسم الطب النفسى
جامعة الأزهر. فرع دمياط

■ فتاة في الصعيد ذهبت مع أسرتها لزيارة أقاربهم في إحدى القرى وصعدت وحدها إلى سطح المنزل ليلا فأصابتها رعدة خوف ونزلت تصرخ بشكل هستيرى فاستدعوا «شيخا» وعلى الفور قرر أن جنيا قد تلبسها وراح يمسح بيديه على جسدها من أعلى لأسفل بينما يتمتم ببعض الآيات والأدعية حتى هدأت الفتاة ونامت فانصرف الشيخ«المبروك» ورفض تقاضى أى أتعاب فهو كما يقول« يفعل ذلك لوجه الله» ولكن الحالة ظلت تعاود الفتاة بشكل متكرر، وكانوا يستدعون الشيخ فى كل مرة فيقول بأن الجنى يعاود ركوبها مرة بعد مرة، فطلبوا منه البقاء قريبا من الفتاة حتى يمنع الجنى من معاودة الهجوم عليها ، وفعلا أقام «الشيخ (اللى مش شيخ) بجوار الفتاة في غرفة واحدة لمدة تقترب من الشهر، وكانت الأسرة تنام فى الصالة بينما تترك الفتاة بجوار «الشيخ» الذى قام بالواجب وحدثت الألفة والمودة بينه وبين الفتاة فواقعها عدة مرات فى تلك الليالى، واكتشف الأهل ذلك واختفت الفتاة، ولا أحد يدرى ماذا جرى للشيخ.

■ منذ عدة سنوات نشرت الصحف عن شاب فى الاسماعيلية ظهرت عليه علامات اضطراب فى كلامه وتصرفاته فقال لهم أحد الأشخاص العليمين ببواطن الأمور: إن جنيا كافرا قد تلبسه لأنه دخل الحمام ليلا ولم يقرأ دعاء دخول الحمام، فأحضروا له «شيخا» صغير السن مفتول العضلات (هو في الأصل عامل فى إحدى الشركات) فظل يضربه ليستنطق الجنى الكافر ويخرجه من إصبع قدمه اليسرى . كما تعود فى حالات كثيرة سابقة . ولكن روح الشاب المريض سبقت إلى الخروج فصار جثة هامدة بين يدى «الشيخ» (القاتل).

■ مراهقة فى الخامسة عشرة من عمرها كانت تصيبها نوبات إغماء وبكاء وتقوم بتقطيع شعرها، أخذتها الأم من شيخ لشيخ والجميع يقررره بأن جنيا يهوديا قد عشقها (فقد كانت رائعة الجمال)، فكان أحدهم (أى المشايخ اللي مش مشايخ) يطلب من الفتاة أن تنظر فى عينيه لفترات حتى يخرج الجن العاشق اليهودى من عينيها، فتحولت عيناها إلى ساحة صراع مقدس بين «الشيخ» وبين الجن اليهودى، وشيخ آخر كان يقوم بقراءة آيات الجن بينما يتلمس أماكن حساسة فى جسد الفتاة حيث يدعى أن الجن اليهودى العاشق يختبىء فى تلك الأماكن ، ثم أمر بأن توضع سماعات فى أذن الفتاة يبث منها القرآن ليل نهار بصوت مرتفع فظلت الفتاة تصرخ تحت تأثير الأصوات المرتفعة ولا تنام عدة أيام حتى أصابها الاعياء وأصبحت بعد ذلك لا تطيق سماع القرآن، فأكد لهم الشيخ أن الجنى بداخلها هو الذى يرفض سماع القرآن فراح يضربها بعنف حتى كادت تفارق الحياة. واستمرت الأم تأخذ ابنتها من شيخ إلى شيخ وعاشت الفتاة في عالم ملىء بأفكار وتخيلات العفاريت والسحر وأصبح عقلها وجسدها ساحة لمعارك دينية.

■■■

معذرة للإطالة فى عرض الحالات الواقعية لأن الأمر فى تزايد مستمر ويكفى أن نعلم أن المصريين ينفقون ما يزيد على عشرة مليارات من الجنيهات على الدجالين والمشعوذين (لو أنفقنا هذا المبلغ على الصحة لتغير الحال تماما فى مصر)، ولكن الأخطر هو أن يقترن الدجل والشعوذة ببعض الممارسات الدينية ويحتمى الجميع بعباءة دينية كاذبة تتيح استمرار ذلك العدوان الهمجى على المرضى النفسيين دون توقف ودون رادع ، ولم يعد الأمر يحتمل إضاعة الوقت فى التنبيه والتحذير والتوعية ، فقد غرق المجتمع في بحر من أوهام تلبس الجن والشياطين، وراح من يدعون بأنهم «مشايخ» «والمشيخة منهم براءة» يبثون الرعب فى قلوب الناس بالمزيد من الحديث عن جحافل الجن الكافر التى تهاجم أبناء وبنات المسلمين بلا رحمة فيقع الناس (بمن فيهم

متعلمون ومثقفون وسياسيون) فى دائرة الخوف الجهنمى فلا يجدون مخرجا إلا اللجوء لهؤلاء المشايخ المزيفين ليخلصونهم من هجمات الجن المتكررة، وهكذا يضمن «الشيخ» لنفسه مصدرا للدخل، أو مجالا للسمعة والشهرة، أو يكتفى بكونه المنقذ للمسلمين من أعداء الله من الجن.

■ وقد صدر قانون الصحة النفسية منذ عامين بهدف حماية حقوق المريض النفسى فى المستشفيات ودور الرعاية النفسية، ولكن القانون لم يتطرق إلى حماية المريض النفسى بين أهله حيث يحضرون له من يضربه حتى الموت أو يحضرون لها من يعبث بعقلها ووعيها وجسدها وعفتها حتى النهاية ثم ربما يقتلونها درءا للفضيحة. وتدخلات هؤلاء الدجالين تؤخر اكتشاف وعلاج كثير من الأمراض النفسية وتجعل مآلها سيئا حيث تصل الحالات إلى الطبيب وقد تحولت إلى حالات مزمنة أو متدهورة. ولا يجب أن تؤخذ هذه الممارسات المجتمعية على أنها جهل وبغير قصد بل هى عمليات إساءة واستباحة إجرامية للمريض النفسى تعاقب عليها كل قوانين الدنيا ليس فقط هؤلاء المعالجين المدعين بل أيضا تعاقب أسرة المريض أو المريضة التى سمحت بتعريضها لهذا المصير. ولا مانع بعد ذلك من استمرار التوعية بالأمراض النفسية والعصبية التى يجهلها الناس (وخاصة حالات الصرع والهستيريا والفصام) والتى يعزونها دائما لعوامل متصلة بالجن (كما كان الناس يفعلون في القرون الوسطى).

وبما أن حاضرنا بائس وملتبس ومستقبلنا غامض فلنعد إلى لقطة مضيئة فى تاريخنا حين بدأ الشيخ الرئيس ابن سينا فى بحث ودراسة ما كان يسمى وقتها بالجنون السوداوى (الميلانخوليا، وهو أحد أنواع الاكتئاب النفسى) فقال: قد زعم البعض أن هذا المرض يقع عن الجن، ونحن من حيث نتعلم الطب، لا يعنينا إن كان ذلك عن جن أو غير جن، بل نبحث فى سببه القريب.

وجاء من بعده ابن النفيس صاحب كتاب «الشامل فى صناعة الطب» وهو أكبر إنجاز علمى منفرد فى تاريخ الإنسانية حيث وصل إلى مائتى جزء، وفى هذا الكتاب رفض ابن النفيس أن يعزو الأمراض إلى تأثير الجن ،كما رفض أن ينسب إلى لحم الخنزير أضرارا طبية لأنه لم يكن قد توفر لديه أدلة على ذلك على الرغم من اعتقاده الدينى بوجود الجن وبتحريم لحم الخنزير.

ومن قبلهما كان الناس يعتبرون الصرع مرضا مقدسا (لارتباطه فى وعيهم بالجن والأرواح العلوية أو السفلية) فجاء أبقراط واستهل بحثه فى المرض بقوله: سأبحث الآن في المرض المسمى بالمقدس، ولست أرى فيه أى قداسة تميزة عن غيره من الأمراض.

■ هؤلاء العلماء الأفذاذ كانوا يتبعون ما نسميه الآن بالطب القائم على الدليل، فلا يدعون شيئا فى الطب لا يقوم عليه دليل، ولا يستخدمون دواء قبل خضوعه للتجريب المستفيض.

والجن والسحر والحسد من الأشياء المعلومة من الدين بالضرورة فقد وردت فى الكتاب والسنة، وهى قوى غيبية خلقها الله لحكمة يعلمها، فليس الخطأ إذن فى الاعتقاد بوجودها ولكن الخطأ فى أن نعزو إليها كل أمراضنا ومشاكلنا وأن نهدر عقولنا فى ممارسات خرافية سحرية تستخدم الدجل والشعوذة تحت ستار دينى، وأن نوقف البحث العلمى الجاد فى ظواهر الكون.

■ وقد ظل الناس آلاف السنين يعتقدون أن شلل الأطفال ينتج عن مس الجن للطفل أثناء ولادته، وكان ملايين البشر يعانون الإعاقة بسبب هذا المرض حتى رفض العالمان سالك وسابين (وهما يهوديان) هذا التفسير الشيطانى للمرض وقاما بالبحث المضنى الذى انتهى باكتشاف لقاح مرض شلل الأطفال فاختفى هذا المرض من العالم تقريبا. والعجيب أن بعض علماء الدين فى أفغانستان وباكستان قد أفتوا فى السنوات الأخيرة بعدم جواز تناول لقاح شلل الأطفال بحجة أن من اكتشفوه هم يهود ويريدون أن يقطعوا به نسل المسلمين حيث يعتقد هؤلاء المفتون أن اللقاح يسبب العقم، وقد استجاب لهم عدد كبير من الناس فزادت نسبة الإصابة بشلل الأطفال فى تلك المناطق.

■ وأخيرا فإن مدعى المشيخة الممارسين للدجل والشعوذة والمتسترين بالدين يجب كشفهم ومحاسبتهم بكل شدة وحزم بقوانين رادعة، فهم يشوهون عقول الناس ووعيهم ويلوثون البناء المعرفى بما يبثونه في النفوس من خرافات ومخاوف وأساطير تجعل الناس يدورون فى فلكهم ويفرون إليهم باحثين عن الأمان والخلاص الكاذب، والأمم لا ترتقى بالخرافات والأكاذيب والمخاوف بل ترتقى بالعالم الحقيقى القائم على الدليل.

الجمعية العالمية الإسلامية للصحة النفسية
World Islamic Associa For Mental Health

الاشتراك فى المجلة

إلى السيد/أ.د رئيس مجلس إدارة
الجمعية العالمية الإسلامية للصحة النفسية
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..
أرجو قبول اشتراكى فى مجلة النفس المطمئنة وبياناتى كالتالى

الإسم:.....
الجنسية:.....
العنوان بالتفصيل:.....
.....
تليفون السكن:.....
تليفون العمل:.....
فاكس:.....

تحريراً فى / / م

مقدمه لسيادتكم

الإسم/.....

التوقيع/.....

.قيمة الاشتراك السنوى داخل مصر عشرة جنيهات بما فيها إرسال الأعداد بالبريد
.تصدر المجلة ٣ أعداد سنويا فى يناير. مايو . سبتمبر من كل عام
.يسدد الاشتراك إما نقدا بمقر الجمعية أو داخل مظروف موصى عليه أو بشيك باسم الجمعية العالمية الإسلامية للصحة النفسية.

ص.ب: ٨١٨٠ مدينة نصر - القاهرة - ج.م.ع
ت: ٢٤٠١٣٩٧٧ - ٢٤٠١٣٩٧٦ فاكس: ٢٢٦٠٠٥٤١